

الاعمال حيث قال (٤: ٣٣): «وبقوة عظيمة كان الرُّسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الرب يسوع». وكذلك لما ارادوا ان يُختاروا رسولا يقوم مقام يهوذا الاسخريوطي ليُحصى في جملة الاثني عشر لم يرضوا الا بـ «يكون شاهداً معهم بقيامة يسوع» (اعمال ١: ٢٢) لأن هذه القيامة كانت لديهم كما هي الآن لدى النصارى باجمعهم البتة العظمى والحجة المثلثي التي تفوق كل ما سواها من الحجج. ولذلك كان المسيحيون الأوَّلون لا يدعون سرَّ قيامة المسيح الا «الشهادة» ولما ابنتي قسطنطين الكبير كنيسة كبرى فوق قبر المسيح لم يجد لها اسماً احقَّ بها الا بان دعاها «مرتديون» اي الشهادة. اذ ان هذا القبر الفارغ ينطق بانفصاح برهان وابلغ كلام عن لاهوت السيد المسيح. وهذا ما يجعله اشرف كل القبور التي في العالم فيتمُّ به قول اشعيا (١١: ١٠): «ان قبره يكون ممجداً» بينما ترى بقية القبور تنطق بحكم الموت الذي يحفظ فيها غنيمته وتجاهر ببطلان العالم وزوال جاهه وعظمته اذ كل ذلك ينتهي في القبر. بخلاف قبر المسيح الذي انفتح بعد ساعات قليلة فخرج منه اسيره نسبي السبي ظافراً ممجداً له الملك والعزُّ الى ابد الابد.

عَيْنُ الْعَلِيِّ

رواية تاريخية لاب س. ت السوغي (تابع)

فلما تأكدت لائيش ان ابنتها بالرضاعة في امان لا يعرضها في بيتها تاب الزمان عادت الى الجينة حيث كانت يهوديت تتنسم الهواء وتستنشق روائح الزهور واطهرت لها من الانس والملاطفة ما كان من شأنه ان يطيب قلبها وينسيها كربها. وجعلت تذكرها بما جرى لها في حادثة سنها وتفككها باخبار واقوال عديدة لم تع لها يهوديت لوقوعها قبل بلوغها الرشد. وكانت لائيش لطيفة العواطف رقيقة الشعور تعدل عن كل ما يذكر ضيقها بنكبتها الحديثة وينكأ قرحتها الندبة قبل اندمالها وهي تنتظر ان تفاتحها يهوديت بخوفي قلبها لتداويها برهم السلوان

بيد ان يهوديت لما طبعت عليه من الابهاء والنفور لم تشأ ان تكشف مرضعها بامرارها وانما كانت تدفن اوجاعها في صميم قلبها وقد اختلقت لها حجة لتلليل مجيئها

الى جيبيل مدعيةً أنّها أحبّت تغيير الهواء وترويح النفس واشتاتت الشوق العظيم الى ظنّرها فضلاً عن أنّها اتت لتطلب لنفسها سلواناً عمّاً تقاسيه بسبب الاخطار التي تحيق بابيها في حاضرة اليهودية

فاعارتها لانيش سمعها وتظاهرت بانها تجهل حقيقة الامر الذي اوقفها عليه

سلوانس

واستصبرت يهوديت ذلك اليوم الاوّل الذي قضتُه في صحبة ظنّرها لما رأته من المناظر الجديدة وتجاذبتُه من اطراف الحديث عن سني طفوليتها. وكانت انتقمتم في اثنائه غياهب حزنها حتى انّ الذي لم يك عارفاً بدقائق قلبها ما كان ليظنّ أنّها ممنوةً باسى امرء عيشها واكسف بالها لولا لزقةٌ حول عيونها كانت تدلّ على بكائها السابق. فكانت تبشّ في وجه ظنّرها وتضحك لها وتداعبها كأنّها في احسن حال

لكنّ فرح يهوديت لم يكن ليبلغ صميم فؤادها وانّما كانت فقط لوانح تلوح على وجهها دون ان تؤثر في قلبها. فلماً ضرب الليل اطنابُه وعرضت عليها لانيش ان تستريح من اتاب الطريق فاعتزلت في غرفتها حاجت عواطفها ثانيةً وهطلت دموعها كالتهتان ثم تدكّرت والدها فصلّت الى الله لاجل عودته بالسلامة وخطر على بالها اسم راسيوس الضابط لكنّها لم تتلفظ به وهي تشعر أنّها لا تنساه ابداً. اما يوسف اخوها فلماً عاد ذكره الى مخيلتها اضطربت من جرّائه حواسها وكادت تتلفظ به لتلعنه الا أنّها تمكّنت من كبح بعضها فقفرت له سوء معاملته

*

وكانت الايام تمرّ في بيت لانيش اسرع من لمح البصر ويهوديت تذوق من العيش ارغدهُ ومن الراحة اهنأها في جوار ظنّرها التي كانت تتحقّى بها وتعطف عليها كالأمّ على ابنتها حتى عادت اليها قواها واندمل جرح قلبها

وكانت مع ذلك تترصّد الاخبار لتعرف ماذا حلّ بابيها وهل اخوها لا يزال بعد في بيروت. وبينما هي كذلك اذ وردها الخبر في اواسط شباط « انّ اباها صموئيل لم يخرج من اورشليم يوم باشر الرومان بمحاصرة تلك المدينة . . . امأ يوسف فانه كاد يتسرّغ غيظاً لما علم بهرب اخته لكنّه لم يشأ ان يسعى في اثرها بل كان خرج من داره ليرشد كاس اللذات في مكان آخر»

فلما وقفت الفتاة على هذه الاخبار تنفست الصعداء وتجدد في قلبها الاسى على ابيها وبقيت في حيرة يتنازعها عاملا الرجاء والخوف فتارة تسلي نفسها بالظن ان اباها لا يعرض بنفسه لاختطار الحرب والحصار وتارة يقلب على فكرها ان والدها بقي في حوزة العدو لم يستطع الفرار ليعود الى وطنه

اما ابتعاد اخيها من بيروت فكان مما يسرها ويفرح همها ويسهل رجوعها الى دارها ولكن خافت اذا عادت الى وطنها ان تبقى في دارها معتلة لا ايسر لها ولا جليس تشاطره الاحزان. فكان هذا الفكر يفت في عضدها ويكدر صفاء عيشها. ومن ثم عزمت على ان تبقى مدة في جيبيل عند ظررها حيث وجدت من الراحة والتغذية ما اربى على كل آمالها

وكانت يهوديت تجد في جيبيل عدة امور تستلفت انظارها كآثارها القديمة وابنيها الفخيمة وعادات اهلها ترى كل ذلك بالرغبة وقرار العين. وكان يأخذها الانذهال عند نظرها هياكل الوثنيين وعظمة مقاماتهم الدينية وكلها مبنية بالوان الرخام ومزينة بتماثيل آلهة اليونان والفينيقيين في جملتها دُمى البعل وتموز حتى انها كادت تستحي من كنيس اليهود المشيد لذوي نجلتها في جيبيل كلما كانت تقابله مع هذه المباني الفاخرة التي تزدحم في صحنها الجموع

وكانت تستعظم هيكل عشتاروت وتتردد الى رواقه الجميل وتنظر الى الجيبيليين يقدون الى هيكل تلك الالهة الشهيرة ويقربون لها قربانهم ويضحون الضحايا امام الرمز المشير اليها وهو عبارة عن حجر مخروط منضوب بازاء الهيكل

ولما كان شباط على وشك الانتهاء واخذت الارض ذخايرها وجعل الربيع يزين الرئي والادوية بجلاء الطبيعة اذ حان موسم موت الاله ادونيس او تموز وهو عيد كان له شهرة عظيمة يتقاطر اليه الزوار من كل اوب

فدخلت يهوديت بيت احد سكان البلدة من اصحاب لايش ظررها لتتظر موكب عبدة الاله دون ان يراها احد. فلما حانت الساعة رأت القوم في هياط ومياط كان المدينة كلها استقرتها الحمية الدينية تحتفل بموت الهها. وكان يتقدم الموكب صفوف من الفتية والفتيات وكلهم يصرخون ويولولون كأنهم فقدوا اعز الاصحاب. وكان يلهم عذارى يحملن على رؤوسهن اطباقا ومقاطف فيها اجناس الزهور والاثار واصناف

الطيوب والاقاويه التي تُهدى للإله الميت. وكان يشي ورا. العذارى نساء. لابسات الحداد عليهن السراويل الطويلة بلا مناطق يُظهرن من الألم أشدهُ وهن يضررن صدورهن ويخدشن وجوههن ويعلون على ايقاع الجناك. وكان خلفهن تمثال الاله تموز يحمله الكهنة على جنازة يُرى صريعاً على نعشٍ وجنبه يقطر دماً كما تصوّروه بعد ان قتله الوحش الضاري في مشارف لبنان. وكان الحضور اذا رأوا هذه الصورة يعلو صراخهم ويذرفون البكاء المرّ

وكانت هذه الجلبة تتزايد وتنمو كلما كان القوم يقربون من نهر الاله فيغمسون التمثال في المياه التي يزعمون أنها تحمرُّ ممّا يسيل فيها من دم تموز وكان الجمهور اذا عادوا من النهر الى الهيكل يغيرون هيتهم ويتهللون باصوات الاقراخ وينشدون الاثاشيد المؤذنة بقيامة الاله ادونيس من الموت ويرقصون الرقص الخلاعي فينتهي نهارهم على هذه الصورة

وكانت يهوديت تنظر الموكب راقبة كل حركات عبدة الصنم فشعرت بما اثار في نفسها عواطف الحنان على تموز قتيل الصيد وذكرها حزن الزهرة ببعض احوالها مع الضابط الروماني. الا ان جبينها ندي خجلاً لما عاينت القوم عاندين الى ديارهم في الخليلي كأن الحمرة لعبت في روزسهم فعرّتهم من كل شواعر الحياء والادب. فادركت ما في الشرك والوثنية من ساقط المتاع اذ يرتكب اصحابها كل محظور ومحرم لا يردعهم حياء ولا يكفهم تورع. فأنفت من هذه الارجاس ولم تعد تنظر اليها الا بعين البغض والنفور. بل زادها ذلك اعتباراً لدين اجدادها لما تجد فيه من عظمة الخالق وسمو عزته وجليل صفاته فحاشاه تعالى ان يرضى باسرار سمجة كما مثلها كهنة الاوثان في جيبيل

ومن ثمّ عادت الى المهذّب بتوراة موسى الكليم والتأمل في اسفار انبياء اسرائيل وكان قلبها يجرد في مطالعة مزامير داود ارتياحاً وسلاماً فتدّدها بالصلاة رافعة الى الله عواطف نفسها ومقدمة له مراسم سجودها

ومما كان يوثر فيها عند نظرها في كتب الله المزلّة ما تراه من النبوات عن مسيح الله الذي وعد به شعب اسرائيل فتتمنى ان ترى ملكه منتشرًا في اقاصي الارض كما جاء في اشعيا النبي وفي سفر دانيال وخصوصاً في زبور النبي داود

وبينا كانت يهوديت تقضي هكذا أيامها في مطالعة اقوال الانبياء. اذ مرت يوماً عند المساء امام بيت حقيير كان يتوارد الى بابهِ قوم على وجوههم سمة الورع والثقتى فوقت هنيهةً وقد اخذ منظرهم في مجامع قلبها. وهي كذلك اذ سمعت اصوات المصلين فاصغت اليهم لعلها تميز شيئاً من منطوق صلاتهم. واذا بهم يتلون مزامير داود ولكن باي عبادةٍ ووقار! كان كلام الله في افواههم شهد الصل تریدهُ حسناً اصواتهم الشجيةً ونغماتهم التقويةً

فبقيت مدةً مطرقةً كأنها حُطفت بالروح الى عالم آخر ولولا خوفها ان يدركها الليل في مكانها لما كانت انصرفت قبل تمام الصلاة. ولما عادت الى بيت ظنرها اخبرتها بما جرى لها قائلةً: «اني في هذا المساء وجدتُ في باطن قلبي نيسماً لم اعهدهُ قبل اليوم كأنني ظفرت بكثرةٍ دفين اسعد حياتي»

فسمعت لائيش كلامها وهي تبشُّ في وجهها لأنها كانت تعرف البيت الذي وصفته يهوديت وتعلم بقصتهِ واهلهِ فاجبت ان تطلع ضيفتها على اخبارهِ الصحيحةِ فقالت: «قبل يومنا هذا بنحو ثلاثين سنة قدم علينا في جيبيل رجلٌ كهلٌ تلوح عليه لوانح الفقر وسذاجة العيش وكان البعض يدعونه بطرس والبعض يسئونه سمعان. فدخل المجمع في احد السبوت ثم افاض امام اليهود المجتمعين في الكنيس في ذكر نبي يدعى ايشوع زعم انه ابن الله وانه هو احد رسله. وقد اخبر المذكور عن نبيه اموراً عجيبية وذكر ترجمة حياته منذ ولادته الى موته مصلوباً وختم كلامه بقوله ان الميت قام وتراءى لتلاميذه ثم صعد الى السماء. بعد ان اوصى رسله بان يبشروا باسمه في اربع خوافق العالم

» ذلك ما بشر به بطرس في المجمع. لكن اليهود تشككوا من جراه. قوله وطروده من المدينة. على ان هذا المذهب الجديد لم يتوارَ معه بل وجد له في جيبيل تبعةً لاسياً منذ تولى امرهم احد تلامذة سمعان بطرس يدعى مرقس (١) ابنتي لهم قبل عشر سنوات ذلك المصلّي الحقيير الذي رأيتهُ

كانت يهوديت في اثناء كلام ظنرها تسمع صاغيةً واعيةً وهي تتذكّر ما رأتُهُ

(١) مرقس هذا هو الذي دُعي في كتاب الاعمال (ف ١٥) باسم يوحنا صار اول اسقف

على جيبيل (راجع الشرق المسيحي للوكويان ج ٢ ص ٨٢١)

من امر هولا. النصارى في بيروت وكان في دارها منهم بعض عبيدها لم تلاحظ في سيئتهم وآدابهم شيئاً يريها في حقهم. وقد زادها كلام لايش رغبة في دينهم إلا أنها كانت تنفر وتشك في صحته اذا ما فكرت في موت صاحبه على صليب العار وما لحق به من الذل والهوان فتأبى ان تقر بكونه هو المسيح الموعود الذي صورهُ الانبياء. كذلك فتّاح

ومع ما كان في قلب يهوديت من الشكوك والريب كانت تشعر بمجاذب يجذبها الى البيت الحثير الذي رأته. فطاوعت ميلها ورجعت اليه يوماً كان يصلي فيه القوم. وازادت هذه المرّة ان تدخل المصلّى وتحضر الصلاة لتراقب المصلين. فكان تأثيرها اعظم من الدفعة الاولى. ومما عمل قلبها صورة شهدتها في صدر المعبد كانت تمثّل امرأة تلوح على وجهها لوائح الوقار والطهارة والحلاوة مع شيء من الحزن. فسألت: ما هذه الصورة فاجابوها: «هي صورة امّ ايشوع المدعوة مريم» ثم اخبروها بترجمة حياة العذراء. امّ الله والبشر معاً

فبقي ذكر هذه الصورة مطبوعاً في قلب يهوديت يتبعها ليلاً مع نهار. وكانت لا تفكر فيها حتى تشعر في نفسها عواطف الحب كأنها تجذبها الى الصلاح والفضيلة غير ان قلب يهوديت لم يكُ بمد صافياً نقياً لتتبع آثار قوم يعيشون للاخرة اكثر منهم للارض وملادها الباطلة (ستأتي البقية)

مطبوعات شرقية جديدة

S^t Jean Chrysostôme et les mœurs de son temps

par Aimé-Puech, Paris, Hachette, VIII-334

القديس يوحنا فم الذهب وآداب عصره

هذا تأليف منحت جمعية العلوم الادبية في فرنسة صاحبه جزاء سنياً لما وجدت فيه من دقة الانتقاد وسعة المعارف. وغاية المؤلف كانت ان يستخلص من اعمال القديس فم الذهب كل ما تضمنته من الفوائد لتعريف اهل زمانه وعادات